مذكرات جارالله عمر

الفصل الثالث

في السجن

في المرحلة الأولى من السجن كان ممنوع علينا الأوراق والاقلام والراديو واذا سُمح بالزيارة، تتم تحت الرقابة ولا يسمحون لنا بالحديث مع الزوار. وجبة الطعام غير جيدة وغير كافية. يأتون لنا بكدم [خبز] من الفرن التابع للقصر وهو سيء وغير نظيف او بدون إدام [مرق]. الحمامات غير نظيفة والغرف مزدحمة، كان في الغرفة ١٢ شخصا في المتوسط. الى هذا، لا تتوفر الفرص للاغتسال: لا يوجد صابون والماء شحيح. تسببت هذه كلها في انتشار الامراض المعدية واليرقان والاسهال وقد تعرضتُ لمرض اليرقان مرة واحدة. كان مدير المخابرات محمد خميس يعرفني، وسبق وان عملنا مع بعض، وكان يكرهني ويعجب بي في آن معاً. حضر الى السجن وقابلني عندما اضربنا عن الطعام وطلب مني ان اطلب اليه اي شيء: هل تريد ان آتي بوالدتك من القرية الى هنا لزيارتك؟ كان قدماي مقيّدان بالسلاسل. قلت له: انا لا اطلب منك الا شيئاً واحداً. قال: ما هو؟ قلت: «ان تطلقوا سراح الطلبة، طلبة كلية الشرطة المعتقلين وأنا اتحمل المسؤولية لأنهم ما عملوش حاجة انتم اعتقلتم طلبة الكلية الذين كنت مسؤولاً عليهم واي عمل حصل في هذا القتال انا المسؤول عنه.»

ولم اطلب منه شيء آخر. ورد بأنه سوف يطلقهم لكن لن يعودوا الى الكلية والدراسة. اطلق سراحهم بعد شهر تقريباً ولم يعودوا الى الكلية، حُرموا منها ومن الرتب العسكرية حتى قيام الوحدة. وظللت الى الوقت الحاضر أشعر بتأنيب الضمير حيال ذلك وأحس بألم كثير أني كنت السبب فيما جرى لهؤلاء الشباب لأنني انا الذي نظمتهم في العمل السياسي. بعضهم ذهبوا للدراسة والبعض واصل الدراسة وحصل على شهادات عليا مثل الدكتور

سلطان ناجي الذي اخذ الدكتوراه في الزراعة ولكن آخرين ظلوا بدون عمل.

مارسوا علينا الضغوط داخل السجن. كانوا يدفعون بمجموعات بهدف التجسس علينا، ولكن غالباً ما كنا نكتشفهم ونضايقهم لكنهم كانوا اكثر قدرة على المضايقة منا. عملنا شطرنج من لبّ ارغفة الخبز وعملنا لوحة وخططناها بمداد على قرطاس للعب عليها لشغل الوقت. بدأنا نلعب شطرنج لكن العسكر اكتشفونا وكان من هؤلاء العسكر جنود شداد، غلاظ وجهلة لا يعلمون. يعتقدون ان من واجب السجان أذية السجناء. كان يوجد عسكري اسمه احمد احمد العسوجي وآخر اسمه محمد الزماري شديدين جدلاً ويتتبعوا اخطاء المساجين ماذا فعلوا حيث دخلوا الى الغرف الاثنين واكتشفوا نحن نلعب اثنين واحد هنا وواحد هنا والآخرين يتفرجون ونبدو وكأننا في معركة، وأعتقد انه لأول مرة يشاهدون احجار الشطرنج واخذوا عصي وخبطوا علينا وقالوا: كيف تصنعوا هذا؟ هذا شرك. هذا حرام. انتم كيف تصنعوا خيلاً، هذا كفر، تصنعوا خيلا وملكا، ولا يصنع الحيوان الا الله. كلمة ما زال الكثيرون يتذكرونها وهي: من صنع هذا؟. اخفينا عليهم الفنان الذي صنع الشطرنج فعاقبونا جميعاً وصادروا الشطرنج. وبعد ذلك، فكرنا بوسائل أخرى فكرنا ان ندخل البطة [؟] والراديو. رشونا العسكر وردخلنا راديو ولعباً اخرى بعدما اكتشفوا الشطرنج من اجل سماع الاخبار. لكنهم عرفوا ان فيه راديو صغير في الداخل لكن لم يعرفوا موقعه، فكانوا يعملنوا حالة طوارىء في الليل ويدخلون ويفتشون ولم يجدوا الراديو. وكان بيننا ضابط هو علي مثنى جبران، قائد سلاح المدفعية، وكان شجاعا يقوم يخبىء الراديو في موقع "العانة" داخل السروال الصغير. وبعدما تعب العسكر من التفتيش في الاماكن وداخل الغرف والفراش والمخدات والملابس، بدأوا التفتيش الشخصي واكتشفوا الراديو رغم محاولة علي مثني القول ان هذا مكان عيب تفتيشه. عثروا على الراديو لكننا عوّضنا الراديو بأخر.

هذه أوضاع السجن وبعض اعمال التضييق بشكل عام. في بعض الاحيان كانوا يجمعون كل المساجين بدون سبب او يوقظوننا في الصباح بدون سبب. من ابرز الاشياء التي جابهناها في السجن في السنة الاولى هي تسريب معلومات عن إعدامات لبعض الافراد منا. وكنت انا واحد من المرشحين للإعدام واحمد علي السلامي ومحمد عبد السلام منصور وكثير من ضباط الشرطة كانوا مرشحين للإعدام. كان العسكر يدخلون الى السجن الساعة العاشرة ليلاً

فيصاب السجن كله بالرعب او يدخلون فيي الصباح ويقولوا نحن نخشى ان هذه المرة يعدم فلان واحياناً يخرجون البعض للتحقيق ويؤخروهم بعض الوقت فيظن المعتقلون انه قد تم اعدامهم وان الآخرين سوف يلحقون بهم. احياناً يسمعوننا طلقات رصاص قرب السجن. كانت اخبار دائمة عن امكانية الاعدام في السنة الاولى بالذات.

مقتل عبد الرقيب عبد الوهاب

ومن أسوأ الايام في السجن في هذه السنة ما سمعناه عن مصير المقدم عبد الرقيب عبد الوهاب، الذي كان رئيس هيئة اركان الجيش، وهو من الابطال في فك الحصار عن صنعاء وقائد وحدات الصاعقة. لم يسجن معنا بل غادر الى الجزائر ثم الى عدن وبعدها تسلل الى صنعاء. سمعنا انه عاد الى صنعاء ونزل في بيت احد القادة العسكريين، علي سيف الخولاني، وكان يومها رئيس الوزراء هو الفريق حسن العمري. واراد عبد الرقيب ان يتفاهم معهم [اهل السلطة]: «انا رجعت الى وطني. ولا اريد ان اتشرد. والذي انتم عاوزين تعملوه اعملوه.» ابلغ علي سيف الخولاني العمري بالامر، فامر ان يطوقوا البيت الذي فيه عبد الرقيب وان يقتلوه، فقتلوه. وقبل ذلك بشهر او شهرين قتلوا احد القادة العسكريين من الذي وقفوا الى جانبنا وهو محمد مهيوب الوحش.

هذه كانت من الايام السيئة. الاشخاص الذين سلّموا انفسهم للدولة قتلوهم في الشارع بأوامر من العمري. كانت من أسوأ الايام التي عشناها. عندما بلغنا قتل هؤلاء القادة قلنا ان لا شك في اننا سوف نقتل داخل السجن. وأتذكر في هذا المجال ان محمد عبد السلام منصور هزته حادثة مقتل عبد الرقيب عبد الوهاب ومحمد مهيوب الوحش، فتحول من يومها الى شاعر واخذ يقول الشعر. ومما قال: "يا تربة الوطن الحبيب /يا ذي شرِبْتي دم عبد الرقيب". في ذلك اليوم، تفجرت قريحة الشعر لديه. انا كنت مثل الآخرين حزينا على مصير هؤلاء ابطال وهذا ما دفعني الى كتابة وصيتي وارسلتها الى امي في القرية. هي رسالة قلت فيها انه من المحتمل ان نموت، لكن القضية التي سنموت فيها هي قضية عظيمة جداً. هي طبعاً لا تفهم ولكني طلبتُ منها ان لا تنزعج عندما تعلم بنبأ اعدامي وان لا تتصرف بهلع؛ كنت اريد ان أهيئها نفسياً لسماع هذا الخبر. قلت لها أني آمل ان تكون لديها الشجاعة مثل اسماء

بنت ابو بكر، ام عبد الله ابن الزبير ابن العوام، الذي قاوم حكم بني أمية، التي رأت ابنها بعدما شنقوه وعلّقوه على جذع نخلة وتركوه مصلوباً عدة أيام فقالت: «أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟». وكان عبدالله يخاف الموت وقال لأمه: «يا أماه، عندما يقتلوني، سوف يعذبوني ويصلبوني»، فقالت له امه: «لا يهم الشاة سَلْخ جلدها بعد موتها. المهم ان تكون شجاعاً.» وكنت أتمنى ان تتصرف أمي مثل أسماء بنت ابو بكر الصديق، رضي الله عنه، اذا سمعتْ إني متّ وان لا تندم او تبكي بل تعتبرني فارساً.

لست أدري ما مصير الرسالة. وعندما سألت أمي عنها قالت انها وضعتها في مكان لم يطلع عليها احد وان احداً لم يقرأها. وأظن انها مزقتها خوفاً من ان يطلع احد عليها ويكون فيها ضرر.

وفاة الشقيقة

بعد تلك الحوادث جاءني خبر مفجع من القرية حيث جاء إلي شخص اسمه عبده صويلح الى السجن وقال لي: خبر مفجع كبير. أوصتني امك ان اقلك بما حصل لأختك وابنائها. أختك رحمة ماتت وبعد ذلك مات ابناؤها وهم بلقيس وابنها عبد اللطيف، وهما ابناؤها من الزوج الجديد الذي كان قاضي في تهامه، ولم يستطع ان يصل وقال لي انهم ماتوا الثلاثة. وقلت له: كيف ماتوا الثلاثة؟ هل حادث؟ حريق؟ وقال لي: اولاً مرضت البنت وماتت، ومات اخوها بعد أسبوع، وبعد اسبوعين ماتت امهم رحمة اختك وحاولوا اسعافها ولكنها رفضت. وقالت اني اعرف سأموت أتركوني عند امي. ماتوا الثلاثة دفعة واحدة. انا كنت اعرف البنت بلقيس وكنت احبها كثيراً، اما اختي فكانت اكبر مني بـ ٧ او ٨ سنين وكانت ترعاني كثيراً متعلقة بي كثيراً لأني انقذتها من الزوج الاول وحررتها من الجور الذي كان عليها وسمحت لها بأن تتزوج من الشخص الذي تحبه وهذا ممنوع عندنا. ولكني سمحت لها بذلك.

عندما سمعت الخبر، نزل عليّ كالصاعقة، لم استمر بمناقشة الرجل عدت الى الغرفة في تلك اللحظة. وجدت لديّ رغبة شديدة في البكاء، ومن حسن الحظ انه لم يكن في الغرفة احد فاغلقت الغرفة وبكيت بكاءاً شديداً لأنه عَيب ان اخرج وانا ابكي امام زملائي في

السجن لأن هذا سيضعف معنوياتهم. وقعدت ابكي وعندما اتى بعض الزملاء انسحبت من الغرفة الى مكان نائي داخل السجن واكملت هناك واجب العزاء نحو رحمة وابنائها في البكاء. وتذكرت كل حياتنا الماضية الحياة الصعبة ومن سوء حظي وانا اتذكر هذا كله عادت الى ذاكرتي حادثة صغيرة. عندما كنت في عمر ٧ سنوات هي كانت اكبر مني بـ ١٥ سنة تقريباً اخذت عصى وقمت بضربها وهي لم تردّ علي، ولكن قعدت وبكت وقالت: هكذا يا جار الله. وبكت لكنها بعد ذلك قامت وقبلتني. تذكرت هذه الحادثة وتمنيت لو انها تشطب من ذاكرتي او لو اني ما عشت ذلك اليوم من حياتي لأني لم ارفع صوتي عليها الا في ذلك اليوم او اسيء اليها الا في هذا، حيث استنكر الحاضرون كلهم عملي قالوا هذه البنت التي لا تزعل ولا تخاصم احد وهي كانت جميلة. هذه الحادثة سببت لي الماً شديداً جداً رغم اني اعتذرتُ لها بعد ذلك مراراً وكنت اتمنى ان اعتذر لها قبل موتها، رغم اعتذاري لها من قبل وهي التي كانت تقول لي: لقد نسيت ذلك. لكن انا لم انسى. تذكرت معاناتها في الزواج ومعاناة المرأة اليمنية. تذكرت انها قعدت عشر سنوات تمنع نفسها من الزواج وهذه من الحوادث المؤلمة في حياتي. رغم ذلك انا في السجن وانا عضو في قيادة الحزب، وعندنا قيادة في السجن، ولازم اتصرف بمسؤولية فكتمت احزاني عن الآخرين. كان عليّ ان اتصرف مع الناس، مع الحزبيين والذين كسبتهم، وكأن شيئاً لم يحدث فتماسكتُ من جديد لكنهـــــــــم عرفوا في السجن وجاؤوا الى عندي وعزوّني . ولكني كنت خائفاً ان تصاب امي وخالتي بحالة نفسية. من حسن الحظ لم يحدث شيء من ذلك. اتجهت امي الى مزيد من التديّن واخذت ما معها من مال وما معنا من مال وحوّلته الى اوقاف لعمل الخير. عملت ماء [سبيل] في الطريق البعيدة عن الماء، عملت سدا للمياه في قرية جنبنا، عملت لرعاة الاغنام اماكن للكنان من المطر والاستظلال من حرارة الشمس، في الاماكن البعيدة عن الكنان عملت على غرس الاشجار، كانت تشتري العلاجات للنساء اللواتي يولدن وهن فقيرات، حولت طاقتها في الحزن والحرمان من الرجل بسبب الزواج، وحرمانها مني، كل هذه تحولت عندها الى طاقة في العمل الخيري وفي التدين والتقارب من الناس والعطف عليهم وخصوصاً الفقراء والايتام والمساكن وكان لها سمعة طيبة في المنطقة كلها.

هذه الاجواء في السجن والظروف الموجودة وقطع المصاريف والمرتبات عنا كانت كلها تؤدي الى مشاحنات وخلافات بين السجناء. الواحد مستعد ان يتخاصم مع الآخر، يعمل مشكلة مع الآخر، على ابسط الاشياء حتى الأحذية. اذا أوقعتَ حذاء فوق حذاء الآخر، يمكن ان تعمل مشكلة قد تؤدي الى مضاربة. اذا الواحد دعس فرش الآخر او اقترب منه او وضع ملابسه فوق ملابس الآخر – هذه الظواهر البسيطة كلها تؤدي الى خصومة لأننا كنا نشاهد بعضنا البعض على مدار ٢٤ ساعة، ولم نعد قادرين على ان نأتي لبعض بأي شيء جديد. لقد ملّ السجناء بعضهم بعضا. ابتكرنا العمل الحزبي والسياسي وقصص الأدب التي كان يرويها الأدباء، لتخفف علينا هذه الاجواء وتعقد المصالحات. ومع ذلك كانت تحصل «خناقة»، كما يقولون في مصر، مضاربة كل يوم وتقريباً معظم الموجودين في السجن تخانقوا مع بعض، انا مع عدد قليل من ثلاثة او أربعة اشخاص ازعم اننا لم نتخانق مع احد ابداً. يمكن ان يحدث سوء تفاهم لكن لم تحدث مضاربة ابداً. كنت دائماً صبوراً في السجن اشعر بمسؤوليتي كعضو قيادة الحزب في السجن رغم اني صغير السن، لكن لازم اتصرف مثل زملائي القياديين الآخرين. كان معنا في السجن قياديان بارزان هما رئيس اتحاد عمال اليمن، علي سيف مقبل، وعبد الحافظ، قائد عضو حركة القوميين العرب في العالم العربي وفي اليمن. هؤلاء ضموني انا ثالثهم فكنا نشكل قيادة الحزب في السجن وانا اصغرهم سناً وتجربة وخبرة وهم مدنيين وانا عسكري شرطة فضموني الى جانبهم لقيادة العمل الحزبي، لأكون الثالث في عضوية اللجنة المركزية في السجن وكان عمري حينها ٢٥ او ٢٥ سنة واعمارهم من ٣٠ الى ٤٠ فكان لازماً عليّ أن اتصرف بحجم هذا الوضع الذي وجدت نفسي فيه، فانا اتحمل مسؤولية اكبر من عمري واكبر من تجربتي، فلازماً ان أكون صبورا واكون هادئا. هذا دافع. واما الدافع الثاني فهو اني جسمي نحيل ولا استطيع ان اخوض خصومة في السجن، ولذلك عليّ ان اتجنب الاختبار في هذا الموضوع واظل اجامل الآخرين واتصرف بود. اذا لاحظت ان هناك شخصا لديه سوء فهم تجاهي، ازوره واتحدث معه وكنت مع زملائي الآخرين نعمل على توحيد المساجين في السجن.

طبعاً لم ينطبق هذا على حياتي في السجن فقط. اتذكر واني طيلة فترة دراستي في المدرسة وانا في كلية الشرطة واثناء الحرب واثناء السجن، ما كان عندي خصومات

شخصية، ما كان يحصل ذلك ابداً. كان هناك خلاف او خصومات سياسية حتى احياناً كانت تقع منافسة بين الطلاب اما انا فما كنت اكره أحدا: ادرس واجتهد لكن إن تفوّق عليّ احدهم، لا أكرهه. واذا حصل احدهم على مرتبة اعلى من مرتبتي لا احسده ولا أكرهه. حصل مرة ونحن في المدرسة الاعدادية بعد الثورة ان زميلي ناجي عمر، الذي اخرجته معي من القرية لكي يدرس، تقدّم عليّ فجاء الأول وانا الثاني؛ كان احسن مني في الرياضيات والانجليزي فجاء الاول فلم اخجل من ذلك وكنت معجباً بتفوقه رغم انه اصغر سناً مني. وكنت اقدمه للناس وكنت معجباً به علماً انه في المدرسة او في السجن عند الناس دائما موقف من الطالب او الشخص الذكي او الوسيم فيكرهونه. لكني لم اكره بل اقول لك اني لم اكره حتى السجانين القائمين علينا في السجن ويركبوا علينا القيود، لم اكرههم او ارغب في الانتقام منهم ابداً.

هذه الطبيعة ساعدتني على تحمّل مشاكل السجن، فلم ادخل في خصومة شخصية على الاطلاق. كنت اقوم بدور التوفيق والصلح بين المساجين. انا اعرف اني من حيث بنيتي الجسمية الانحف في السجن، ربما كان واحد او اثنين انحف مني اما البقية فكانت اجسامهم اقوى. اقول ان ذلك دفعني الى ان احل مشاكلي مع الناس بالسلم؛ ولذلك كان لزاماً ان احلّ مشكلاتي شفوياً، بالنقاش بالسياسة، وليس عن طريق القوة لأني قد اخسر فيها. ثمة عوامل عديدة من بينها العامل السيكولوجي كانت السبب في قبولي اللجوء الى السلم. انا اتكلم عن ظواهر الضعف الانساني فانا بكيت عندما رأيت ظواهر الضعف الإنساني. كإنسان، عندي نقاط الضعف البشري ولكني قد لا اظهرها في لحظة معينة. وانا هنا اعترف بنقاط الضعف هذه. قلت اني كنت احس بأن هؤلاء اقوى مني جسدياً لكني لا احس بأي نقص تجاه المتفوقين عليّ ولا احس امامهم بنقطة ضعف. المتفوق اعطيه حقه ليس بالضرورة احسده او اكرهه او اعمل له مشاكل، اعترف ان لدى الناس قدرات مختلفة، مواهب مختلفة وفي النهاية، الانسان إذ يتشارك مع بعض فهو صانع الحضارة وصانع الحياة، لازم يقبل الانسان بهذا التمايز بين البشر. لأنه بدون هذا التمايز بدون وجود متفوقين وعباقرة وموهوبين، ما كان يمكن للبشرية ان تتقدم او ان تصل الى ما وصلت اليه اليوم؛ ما كان يمكن ان نصل الى الكهرباء والى ريادة الفضاء ومعالجة الامراض لولا وجود موهوبين مثل اسحاق نيوتن وكوبرنكس وآينشتاين او طه حسين بالنسبة لنا كعرب، وابن المقفع او الكندي. انا دائماً افكر

بهذه المسألة وبأن هذا التنوع وهذا العطاء وهذا التفوق كلها تفيدني انا ولا تضرني.

الطعام في السجن

كانت هذه هي المشكلة في السجن، البعض تردهم فلوس من خارج السجن فيقومون بشراء الجبن والخبز والطماطم، سرقة مع العسكر. ولوحظ ان بعضهم يأكلونها سراً ما ألّت عليهم السجناء. انا لازم عليّ ان اقنع الآخرين ان حياتي مثلهم عادية ما عندي ناس يرسلوا لي فلوس، ولست غنيا، وما كنت نهما للأكل الكثير ولم يسبق ان شعر احد اني فضلت نفسي عليه. حياتنا سواء بسواء. طبعاً الانسان يحب ان ينام وان يأكل ويشرب كويس لكن ذلك الوقت كنا ندرك ان المبالغة في الفردية تجعلنا لا زعماء، ولا قادة، نحنا في حالة حرب مع الطرف الآخر، ليس ان الفردية غير موجودة عندنا، هي موجودة لكننا كنا نكبحها ونقمعها. الفردية عندي كانت موجودة لكني كنت اقمعها ولا يعني اني لم اكن ارغب في أن آكل افضل وانام افضل، هذه رغبة موجودة لكني اقمعها لأنها تتعلق بالامتيازات الفردية.

بعد ذلك لاحظت انه عندما مرضت اعتنى بي زملائي في السجن كثيراً ولذلك أحسست بأهمية ومردود وفائدة الروح الجماعية والعلاقات الجماعية. عندما اصبت بالمرض كان جسمي نحيلا فلم أقدر ات آكل فذهب زملائي الضباط، ممن كان في الحزب [حركة القوميين العرب] وترك العمل الحزبي، الى عند محمد خميس وقالوا له ان جار الله الذي كنت تعمل أنت واياه مريض ولازم يخرج الى المستشفى، لا توجد علاجات ولا احد يعرف إيش المرض وهو مرض انتشر بالرذاذ بسبب عدم وجود النظافة في السجن. واذا لم يخرج سوف نعمل مشكلة حيث كان لدينا في السجن زعيمان يتزعمان المشاكل والصدام مع الادارة وهم الحاج صالح السلامي، والذي كنا نسميه عمو صالح، وهو والد الأخ احمد صالح السلامي، وكان عمره حينها ٥٠ سنة او ٤٧ سنة او اكثر، وضابط آخر اسمه الرائد محمد مخيبر وهو الآن مريض مصاب بالشلل، وهو ضابط في الشرطة درس في القاهرة ومثقف. كان الاثنان من الاقوياء والكبار في السجن، وكانا يتزعمان علينا في مواجهة الادارة والادارة تخشاهم. ولهذا لزم ان يتم اخراجي من السجن الى المستشفى وكذلك المرضى الآخرين لزم ان يخرجوا خاصة الذين عندهم اسهال وانا لم يكن عندي اسهال

لكنهم ركزوا عليّ اكثر وقد ذهب زملائي الى عند خميس وقالوا له لازم يخرج جاد الله الى المستشفى لأن في ذلك الايام كان الانسان يموت لأي مرض. فقال لهم خميس هذا الانسان انا محتار كيف اتصرف معه: اكرهه ولكني احترمه. قالوا لماذا تكرهه قالهم عندما اشتغلنا مع بعض فترة كان من اذكى الضباط كان يكسب الآخرين وكان كفوءا وذكيا لكني اكتشفت بعد ذلك انه يخدعني. لماذا يخدعك؟ كان حزبيا منتميا للأحزاب ومحمد خميس ضد الاحزاب وقال: قاعدين نشتغل مع بعض ٤ او ٥ سنوات في مجلس ادارة صندوق دعم الشرطة وانا متخرّج جديد عشت معه ٤ او ٥ سنين فلم يصارحني او لم المس منه انه حزبي فهو خدعني وخانني وانا ادخلته الى منزلي وامّنته على كل شيء. انا احترمه لكني اكرهه انا اقول لكم في حالة انفعال لن أخرجه. قالوا: تشتهيه يموت، قال نعم لكن مش على يدي.

من ضمن الزملاء الذين راجعوا في قضيتي واقنعوا خميس بإخراجي الى المستشفى الأخ احمد عبد الله الآنسي وزميل آخر هو عبد الله العلفي وهذا الاخير من ابطال حصار صنعاء الشهير ١٩٦٧-٦٨ حيث اقنعوا خميس وقالوا له في هذه الحالة سيموت وانت المسؤول عن موته. قال لهم: يخرج وتكفلوا عليه انه ما يهرب. قالوا: نحن ضامنون. قال لهم: لازم يخرج وهو مقيد على شان ما يهرب. وقضيت في المستشفى قرابة شهر اشرف عليّ احد الاطباء وهو المرحوم علي الآنسي وكتب تقريراً للحكومة انه لازم ان يستمر في المستشفى لأنه اذا رجع الى السجن يموت. لكن الطبيب قال لي: هذا مرض عادي ويحتاج الى راحة وتأكل حلويات وسينتهي المرض خلال اسبوعين وهو من الامراض البسيطة. من خلال الكشف والفحوصات، الكبد والمرارة سليمان، ولا توجد مشكلة. نحن ممكن ان نحرر التقرير فيه عذر لك من شان ان ترتاح في المستشفى. قعدت وعليّ حراسة وانا مقيد وجاءني زوار كثيرون جداً من كل مكان، وعائلة الأخ عبد الله العلفي، الذي سبـــــــــق ذكره، كانوا يزودوني بالاكل من منزلهم يومياً الى المستشفى واتوا لي بالملابس. ولم يمض اسبوعان الا وحالتي جيدة لكن الاطباء حرروا تقريراً انه لازم يمضي وقتا اطول حتى قضيت شهرا في المستشفى.

واتذكر انه في تلك الاثناء جاء إليّ احد الشباب من ابناء القرية، وهو صف ضباط في الجيش واسمه صالح حيدان، وهو من الشباب الذين كانوا يحبونني وقال لي نحن قد رتبنا

خطة لتهريبك الى عدن لازم تهرب وقلت: كيف؟ شرك لي الخطة: سوف يأتي شخص يأخذ العسكري الى المطعم بغرض الأكل وتوجد نافذة من الغرفة التي انت فيها تؤدي الى الحوش وتوجد نافذة كبيرة من جانب الحمامات تستطيع الخروج منها الى خارج سور المستشفى ولا يحتاج الامر الى سلّم. وتوجد سيارة تأخذك الى القرية ثم الى عدن وتختفي ولا يحصل عليك اي شيء. خطير ان تعود الى السجن ما دام عليك حراسة وعليك قيود وهناك اخبار في القرية انهم سوف يعدمون البعض منكم. رفضت وقلت له اني سوف اتحرر من السجن لكن زملائي الذين كفلوا علي سوف يفقدون وظائفهم او يدخلون السجن وربما الذين زاروني سيتعرضون للأذى. واقنعته بأني لن أهرب واني سأعود الى السجن مهما حصل ومهما كانت النتائج. وفعلاً عدت الى السجن وصحتي جيدة ووجدت حفاوة من المساجين وشفيت من الامراض بعد ذلك، وزالت عني جميع آثار المرض.

عند وجودي في المستشفى، حصلتْ تغيرات حيث عيّن الأخ احمد الرحومي وزيرتً للداخلية وهو من الضباط الذين شاركوا باعلان الثورة وكان على صلة ببعض الأحزاب القومية ربما بالبعث. وهو وطني وتقدمي بشكل عام ويعطف على الاحزاب لكنه مقبول لدى الحكومة. أمَرَ بتوفير سهيلات كبيرة لنا داخل السجن منها ادخال الاكل والبرموص والدافور لطبخ الاكل البرموص primusالسخّان العامل على الكاز والدافور يعمل على الغاز].

كان هذا تقريباً في منتصف السنة الثانية من السجن. سمح لنا بإدخال الكتب وخففوا علينا القيود، ابقوا علينا قيدا واحدا كذلك خففوا من الضرب ومن الاهانات التي كانت توجه الينا من السجانين، ولم يعد في السجن الا ضباط الجيش والشرطة اما المدنيون من الأدباء والمثقفين الذين كانوا يروون لنا القصص ويعطوننا الكتب الادبية فقد اطلق سراحهم. هنا بدأت حياة جديدة مختلفة. خفّ الضغط نوعاً ما، والغرف صارت اوسع وحياتنا اصبحت افضل تنظيماً، وشكلنا مجموعة تجمع فلوس من المرتب الشهري نشتري بها أرزاً وبطاطا وبصلا وبندورة وغيرها ونطبخ لأنفسنا وكل واحد منا يأخذ دوره يوما في الطباخة وعندنا امين صندوق نطرح عنده الفلوس. ومن الاشياء الظريفة التي حدثت في السجن عندما بدأنا نطبخ وانا كنت اول واحد يطبخ في ذلك اليوم، حيث قمت بعمل اللحم في القِدر وعملت البصل وأضأت الغاز وخرجت الى باب الغرفة اتحدث مع احد الزملاء وهناك شممت رائحة

فعدت الى الغرفة ووجدت اللحمة قد احترقت مع القدر التي هي فيه. هذه كانت كارثة لأننا كنا اول يوم نأكل اللحمة داخل السجن وكانوا زملائي متشهيين لها برغبة شديدة. كانت خسارة كبرى لكن زملائي سامحوني واكتفوا بأكل طبق الرز. وتعلمت في الاسبوع التالي لأنني كل يوم في الاسبوع اجلس بجانب دافور الغاز ولا ابرح المكان وكان بمثابة درس بالنسبة لي وحاولت ان اعوضهم لكنهم لم يقبلوا. وهذه من الاشياء الظريفة التي حدثت اثناء السجن.

المجال الآخر في حياة السجن هو القراءة . لم يكن لدى البعض اقبال على القراءة كان همهم الخروج من السجن، فقد صاحبهم اليأس طول السجن بلا اطلاق سراح، حيث رئيس الوزراء حسن العمري يقسم اليمين انه لا يمكن لضباط الجيش والشرطة ان يخرجوا من السجن. وكان يعرفنا من ايام حصار صنعاء، فقد عملنا مع بعض وكان يقول: هؤلاء متطرفون لا يمكن ان يخرجوا طالما انا موجود على قيد الحياة. وهذا كان يصيب بعض الضباط بالإحباط واليأس لكن كنا نتصرف بشكل طبيعي.

بدأنا نتجه للكتاب. في بعض الاوقات، تنطفي الكهرباء فنقوم بتهريب الشمع ونقرأ على الشمع، نتبادل الكتب ونعمل حلقة نقاش. وأتذكر اني لاول مرة في حياتي قرأت الرواية والقصة لأن دراستي التعليمية كانت في الفقه ثم ان الطابع الفكري والتنظيمي لحركة القوميين العرب، الأقرب من صفات النازية والفاشية، كانوا يعتبرون قراءة القصة والرواية يضعِف الناس وانه لزم ان يقرأ اعضاء الحركة الكتب الحماسية وان لا يقرأوا الرواية والغزل. حتى تلك اللحظة، لم اكن قد تعرفت الى الشعر الغزلي لأن النظم الحزبية تقتضي بأن نقرأ في السياسة والتاريخ وفي الجغرافيا وفي الشعر الحماسي وسائر القراءات التي تجعلنا مناضلين ومقاتلين.

<<<<<<<<<<<<<<<<

لكن وجودنا في المرحلة الاولى كان متزامناً مع وجود العديد من الأدباء مثل محمد عبد الولي حببوا الينا قراءة الأدب والغزل والشعر الى جانب الفراغ في حياة السجن واستطيع ان اقول ان العلاقات التي نشأت بيننا في السجن أنسنتنا جعلتنا اكثر انسانية بحيث بتنا نعترف بطبائعنا البشرية ونتخلى عن تلك المكابرة. وبدأت أقرأ في القصة واكتشفت اني

قارىء نهم وعندي رغبة شديدة في القراءة. كان زملاؤنا خارج السجن يدخلون لنا الكتب بكمية كبيرة واتذكر ان اول رواية قرأتها هي لنجيب محفوظ هي "السرايـا" ثم "بين القصرين" ثم رواية لدانتي والذي لم أعرفه الا في السجن، قرأنا كل ما كان مترجما الى اللغة العربية من الروسية بما في ذلك "الجريمة والعقاب" و"ابنة الأمير" لبوشكين وغرامشي. وكان هذا اول تحول لنا نحو اليسار كان تحوّلا ضبابيا يأخذنا الفعل ورد الفعل دون الأخذ بالتأمل. نريد تغيير العالم بسرعة وماركس يقول علينا تفسير العالم ولكن علينا ايضاً تغييره، كنا نملّ من تفسير العالم والقوانين؛ المهم تغييره. وقرأنا في السجن ايضاً لشارل دينكز و"ذهب مع الريح" لكاتبة اميركية وهي رواية ربما لها علاقة بالحرب الاهلية في اميركا و"العقبة الحديدية"، ،كل الروايا ت التي قدّم لها جاك لندن. اول ما دهشني كتاب "الأيام" لطه حسين بعدها أثارني كتاب "زوربا" وكان رأيي ان زوربا هذا بعواطفه وفجاجته قدم لنا بطل القصة طبيعي وعادي في تصرفاته واي انسان شرقي لازم يحب زوربا وبطل القصة المتفجر لأنه داخل الانسان الحقيقي الذي دخل الانسان الذي يخفيه الانسان الشرقي يتصرف بشكل طبيعي تجاه الناس رأيه في الجنة والنار والعقاب، رأيه في الألوهة.

بعد ذلك قرأنا كتباً سياسية كثيرة ومن ضمنها الماركسية من ماركس وغيره. وكانت الكتب تدخل الينا في السجن مع ان لدي ادارة السجن قرارا بمنع الكتب الشيوعية لكنهم ما كانوا يفهموا. وقع في احد المرات حادث طريف إذ ادخل احد الزملاء ادخل لنا كتابا عنوانه الإسلام والشيوعية لواحد من جماعة الاخوان المسلمين في مصر اظن انه محمد الغزالي او محمد قطب وهو يقارن بين الاسلام والشيوعية، هو كتاب معادٍ الشيوعية. لكن حراس السجن منعوا دخول الكتاب بسبب عنوانه وقد لفت انتباههم وجود كلمة الشيوعية على غلافه. وفي احد المرات جاءنا كتاب المادية التاريخية والمادية البريلكتيكية وهو كتاب ماركسي فسمح للكتبب بالدخول لعدم كلمة الشيوعية عليه.

المهم ان مرحلة السجن كانت مرحلة خصبة للقراءة واعادة القراءة وللتعلم طبعاً. ومن الاشياء التي تفيدنا مجلة "الطليعة" المصرية والتي يرأس تحريرها المرحوم لطفي الخولي والتي سمح بها عبد الناصر لليسار بعد اخراجهم من السجن والتي كانت تنشر

المناقشات التي كانت دائرة بينه او في اوساط اليسار الفلسطيني وبالذات بين الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية وبين القوميين والاحزاب الشيوعية. كما اتانا ايضاً كتب غالي شكري والياس مرقص في مجال الفلسفة. قرأنا قصة الفلسفة وتاريخ الفلسفة وقرأنا مترجمات هيجل وكانط، ونيتشه، نحن 3 اشخاص كنا نقرأ لا أبالغ ان قلت ولم نأخذ راحة اشد مما كان في المدرسة الشمسية في ذمار من بعد الفجر حتى الإطار وبعد الظهر نتغدى ونعمل لفة قليل ونستأنف القراءة وفي الليل اذا اكتشفوا الشمع حتى الساعة 12 مساءً لأنهم كانوا يأمرون بالنوم الساعة العاشرة مساءً ونستمر حتى منتصف الليل اذا جاءنا زوار. ثم نواصل القراءة حتى الصباح.

كنا مجموعة، بيننا تنافس نتفق من الذي يخلص الكتاب الفلاني قبل ان نأتي نناقشه. مثلاً قرأنا تاريخ الأدب العربي بالتبادل لحنا فاخوري وهو من ٧٠٠ صفحة. وعندما خلصنا الكتاب الثلاثة انا والأخ محمد علي السلامي ومحمد العزير، وهو الآن يعمل في النيابة العامة، كنا كلنا حزبيين قعدنا نناقشه وتناقشنا عن حياة الشعراء من امرؤ القيس الى ابراهيم محمود طه وجماعة ابولو. وكل كتاب مهم نجتمع ونقرأه ونتبادله ونعمل له حلقة نقاش ونتبادل الآراء فيه. وهنا في هذا المجال اعترتنا في بعض اللحظات حالات من الغرور وهو احساس بأننا نحن كنا نقرأ ونحن في السجن اكثر من رفاقنا الذين خارج السجن وهو نوع من التعالي هو من غرور الشباب وهي صفة ليست جيدة. وكنا عندما كنا خارج السجن يعطونا المسؤولين الحزبيين كتابا ويطلبوا منا قراءته وتلخيصه ومن ثم .....؟؟؟ ولما دخلنا السجن قرأنا اكثر من رفاقنا خارج السجن فحبينا ان نعرفهم، نحن قرأنا اكثر منهم، كتبنا لهم رسالة عن سياسة الحزب، قلنا لهم رأينا في سياسة الحزب الديمقراطي، لازم نتغير واستعرضنا قدراتنا النظرية وضربنا امثلة كثيرة كتبناها بإسم اعضاء الحزب في السجن لأننا نحن توسعنا بالكسب داخل السجن حيث صاروا جميع الضباط الذين في السجن اعضاء في الحزب.

من اي ناحية كنا نريد التغيير؟

لزم ان تكون حركتنا اكثر ثورية، كنا متأثرين بالتجربة الفيتنامية والكوبية

وبانتصارات اليسار في افريقيا واسقبلنا بفرح شديد عندما قامت حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ في جنوب الوطن واستولى يسار الجهة القومية على السلطة واستبعد اليمين، اعتبرنا هذا انتصارا لنا لأن اليسار استولى على السلطة بقيادة سالم ربيع علي (سالمين) وعبد الفتاح إسماعيل. واحتفلنا على مدى يومين بحركة هاشم العطا التي اطاح فيها بجعفر النميري في السودان والتي قام بها الحزب الشيوعي السوداني، اهتممنا بالراديو الصغير واحياناً كنا نتسلل لنسمع الأخبار من عند العسكر في النوبة فسمعنا ان هاشم العطا قام بحركة وانشرحنا واحتفلنا كثيراً في السجن على مدى يومين. ومن ضمن الخيبات التي صادفتنا ونحن في السجن من متابعة الاخبار والأحداث السياسية مذابح ايلول الاسود في عمان عام ١٩٧٠. حزنّا في السجن كثيراً لهذه الاحداث ثم لموت جمال عبد الناصر وكانت هذه اول ضربة لأحلامنا تجاه ما يجري في العالم. بعد فترة، استطعنا ان نقرأ كتاب العفيف الأخضر ونحفظه حتى حفظنا منه بعض الجمل والعفيف كاتب ماركسي تونسي وعنوان الكتاب **"من كومونة باريس الى مذابح ايلول الاسود في عمان"**. قارن فيه المؤلف بين ما حصل لأبطال كومونة باريس عام ١٨٧٠-١٨٧١ وما حصل للثوار الفلسطينيين في مذابح ايلول في عمان عام ١٩٧٠. وكان كتاباً جزلاً في لغته وهي لغة جدية لا تقبل الوسط وكان هذا يشبع رغبتنا، يشبع الفراغ السيكولوجي الذي احدثته هزيمة المقاومة وايلول الأسود.

عندما وصلنا الى بداية السنة الثالثة حصل انقسام بين ضباط الشرطة والجيش. طلب بعض ضباط الجيش من الحزب ان يعمل على اطلاق سراحهم واذا بقوا في السجن بعد ذلك فإنهم سوف يتخلون عن الحزب واعلنوا انهم سوف يضربون عن الطعام إحتجاجاً على عدم اطلاق سراحهم. رددنا عليهم طبعاً في تلك الاثناء لم يعد في السجن من اعضاء اللجنة المركزية الا انا ومعي زملاء آخرين احمد علي السلامي وآخرون. اقترحوا ان نضرب كلنا عن الطعام. قلت لهم: لا. انا رفضت الاضراب عن الطعام وقلت: لزم ان نسأل قيادة الحزب هل نضرب عن الطعام ام لا؟ وهل من جدوى في الاضراب او لا؟ رفضوا وقالوا ان قيادة الحزب لا تعلم معاناتنا في السجن وقيادة الحزب ظروفها صعبة. ارسلنا رسالة الى قيادة الحزب نطلب رأيها هل نضرب عن الطعام او لا؟

قال الزملاء: لا يهم. الحزب لازم يراجع عند السلطة من اجل اطلاق سراحهم. نحن

قلنا لهم ان الحزب لا يستطيع يعمل شيء، اما بالنسبة الاضراب لازم نسأل قيادة الحزب. انا كتبتُ رسالة الى قيادة الحزب وكانت هناك صعوبة في اخراج الرسائل من السجن. كنا نرسل الرسائل داخل الطعام، داخل "العصيد". ردّت علينا قيادة الحزب بأنه لا يجب ان تضربوا عن الطعام لأن اضرابكم لن يكون مفيداً ولن تهتم به السلطة لأن السلطة مشغولة في حرب صعبة بين الجمهوريين والملكيين في صعدة فلا تضربوا الا بتعليمات من قيادة الحزب. وكان الملكيون قد تمكنوا حينها من احتلال صعده. بعد ان طرحت على زملائنا ان قيادة الحزب تقول لا تضربوا لأن الحكومة مشغولة ولا تهتم بكم، رفضوا وقالوا سوف نضرب عن الطعام. طبعاً كانت معاناتهم كبيرة كان فيه شعور عند الضباط المعتقلين، وهم من صغار الضباط، انهم ليسوا مسؤولين عن الاحداث وان المسؤولين عن الاحداث هم السياسيون والضباط الكبار الموجودون خارج السجن. نحن مظلومون قلنا لهم لازم نلتزم. لكنهم قرروا الاضراب، انقسمنا: اقل من النصف اضرب عن الطعام بقيادة ضابط اسمه عايش من ضباط الجيش. اما ضباط الشرطة ومعنا الأغلبية من ضباط الجيش والشرطة فقد نفذوا تعليمات قيادة الحزب بعدم الاضراب. استمر الاضراب اربعة ايام ثم فكوه ودون ان يسأل عنهم احد، شعرنا ان موقفنا كان صحيحا فقد التزمنا بالحزب وكان عندنا ثبات وتفاؤل اكثر.

ماذا لو ان السلطة استجابت لمطالب المضربين؟

كنا سنقول ان موقفنا غير صحيح وما كنا سنغير التزامنا، كنا سنشعر ان قيادة الحزب لم تكن دقيقة في تقديرها. في هذه السنة الأخيرة، حاول العديد من الزملاء المراجعة لاطلاق سراحنا عند القاضي عبد الرحمن الارياني، رئيس المجلس الجمهوري، والعقيد حسن العمري رئيس الوزراء القائد العام. وكان هناك القاضي احمد الكمالي راح الى عند القاضي الأرياني مع شخـــــــص آخر اسمه احمد دعفان وهو زميل من أسرة ارستقراطية من ذمار القاضي الارياني وافق على اطلاق سراحي عندما اعاد الورقة الى رئيس الوزراء حسن العمري حيث كان اقوى كونه شخصية عسكرية وصلت الورقة الى يد العمري وجد انه مكتوب فيها اطلاق سراح صف ضابط جاد الله عمر مش ضابط فقال العمري ان هذا

ليس صف ضابط انه ضابط انا اعرفه هذا خطير وهذا لا يمكن يخرج من السجن والورقة لا تزال لدى القاضي الكهالي قد توفي الله يرحمه كانوا يقولون عني هذا ملحد وكان يقول لهم لا لأنه كان يحبني كثيراً وعندما رفض العمري اطلاق سراح زميلي احمد ذعفان وآخرين اخذوا معهم امرأة من ذمار وذهبوا بها الى عند القاضي الارياني وقالوا لها تقول انها امي وتطلب من القاضي وبكت امامه ورجته بإطلاق سراحي وامر القاضي من جديد بإطلاق سراحي لكن العمري رفض الامر مرة اخرى.

هنا شعرنا ان السجن سوف يطول سنوات اخرى بعد الثلاث سنوات التي مضت ولكن في اواخر عام ١٩٧١ م شهر سبتمبر حدث شيء مفاجيء حدث غريب كان السبب في خروجنا من السجن، وهذا الحدث يتلخص في ان شخص اسمه الحرازي صاحب استديو تصوير قيل انه اتصل ببيت العمري وقيل انه اشتبك بتلفون العمري ويقال انه اتصل ببيت العمري الذي جاوب على التلفون وقال من انت قال فلان وتلكأ وقال انا اتصل لصديق لكن العمري اعتبره يغازل النساء. وحسن العمري كان رجل عصبي حيث خرج الى ميدان التحرير مع العسكر وارسل الجنود الى الحرازي اعتقلوه واوصلوه الى عند الفريق العمري استجوبه لمدة دقيقيتين او ثلاث دقائق، وقال له لماذا انت تؤذيني في التلفون وحصل فيها مناكفة بالكلام واخذ العمري قضيب حديد وضرب المصور وارداه قتيلاً في الحال وذهب الى منزله واثار الناس واخذوا الحرازي ودفنوه وانتشر الخبر بين اوساط الناس وطالب البعض بمعاقبة العمري. لم يكن يوجد رأي عام قوي ولكن مطالبة بسيطة ورأي عام بسيط .لكن كان هناك كلام يدور واستنكار. لهذا القاضي الارياني استغل هذه الفرصة للتخلص من العمري من ناحية ولكن لم تتم معاقبته بطريقة عادية عن طريق القضاء. اجتمع القاضي الارياني مع بعض السياسيين وطلبوا من العمري الاستقالة من منصب رئيس للوزراء وقائد عام للجيش ورحل فوراً الى القاهرة. وبعد اسبوعين خرجنا جميعاً من السجن باستثناء اشخاص قليلين ومنهم علي مثنى جبران قائد سلاح المدفعية والعقيد عبد القادر الخطري وضابط آخر اسمه سعيد ريحان وشخصين آخرين اما البقية من ضباط الجيش والشرطة فخرجنا جميعاً بعد رحيل العمري وقلنا يومها: مصائب قوم عند قوم فوائد.